دون ان تكون في برامجها وتوجيهاتها البديل الفعلي القادر على اداء مهمات الحركة الوطنية الاردنية. لقد أغفلت حركة المقاومة العدو واهملت الصديق الذي أصبح مع العدو ، ولو مؤقتا ، فنتج هذا الاختلال بميزان القوى .

سحب هذا التكوين الايديولوجي والسياسي لحركة المقاومة نفسه ايضا على مسألة الوحدة الوطنية ومسألة العلاقة مع الجماهير الفلسطينية والعربية، وعلى البنية التنظيمية لحركة المقاومة . فعلى صعيد الوحدة الوطنية ، نستطيع ان نقول ان ظاهرة تعدد الفصائل الفلسطينية كانت — الى حد ما — ظاهرة طبيعية حيث ان هناك عادة اكثر من طبقة تقف في معسكر الثورة في مرحلة التحرر الوطني الديمقراطي . هناك طبقة العمال وطبقة الفلاحين والبورجوازية الصغيرة . وبالتالي فمن الطبيعي ان يعبر هذا التعدد الطبقي عن نفسه بتعدد سياسي. هذا من ناحية ، ومن ناحية ثانية ، فهناك خصوصية الشعب الفلسطيني لجهة تشرده وتجربته . لكن لو كان الفصيل الرئيسي في حركة المقاومة والذي يتحمل مسؤولية قيادة حركة المقاومة في الفترة السابقة ، لو كان يدرك فعلا هذا الواقع ، وبالتالي يحدد علميا طبيعة صيغة العلاقات التي يجب ان تقوم بين مختلف هذه الفصائل ، لكان من الممكن ان تقوم جبهة وطنية تخدم برنامج الثورة . لكن عدم ادراك ذلك ادى الى كل هذه الميوعة التي عاشها موضوع الوحدة الوطنية خلال الفترة السابقة . مثلا ، هل كان من الممكن على ضوء هذا التحليل لتعدد فصائل حركة المقاومة ان تتم وحدة فورية وقسرية ؟ التفكير العلمي يقول لا بينما كانت تعلو في الفترات السابقة ، وبين فترة واخرى ، اصوات تطالب بالوحدة القسرية . مثل آخر : هل من الممكن وسط هذا التعدد وهذه الخلافات ان تقوم وحدة وطنية بدون البرنامج السياسي الاساسي ؟ في كثير من الاوقات كان الحديث حول ضرورة الوحدة وضرورة الجبهة يتم بمعزل تام عن كل تحليل سياسي ، وبمعزل تام عن البرنامج السياسي ، وبالتالي كان من الطبيعي ان تتعثر قضية الوحدة. ان المسؤولية في ذلك لا تقع على تنظيم محدد . كان من المفروض في القوى اليسارية ان تناضل من اجل الصيغة الاكثر علمية لموضوع الوحدة . لكن الذي حصل هو ان هذه القوى لم تكن متفقة فيما بينها على هذه الصيغة ، وكان بعضها ، لاسباب تنظيمية بحتة ، يساير الصيغ الديماغوجية التي كانت تطرح للوحدة الوطنية . قد يقال في معرض الحديث عن البرنامج السياسي ان ميثاق المنظمة موجود وهو كاف كأساس للوحدة الوطنية . هذا لا يكفي لان هناك خصوصية للمعركة الفلسطينية وخصوصية للشعب الفلسطيني . مثلا يمكن لحركات التحرر بشكل عام ان ترفع شعار التحرير وتعتبر هذا البرنامج الحد الادنى ، اما بالنسبة للثورة الفلسطينية فالموضوع يختلف فبرنامج الحد الادنى بالنسبة لها معقد . والسبب في ذلك ان قسما من الشعب الفلسطيني موجود في الارض المحتلة،وقسما في لبنان وسوريا والاردن. هذا الشعب يريد ان يعبىء نفسه ليقاتل في معركة التحرر الوطني . لكنه لا يستطيع ان يفعل ذلك دون علاقات معينة مع هذه الارض وهذه الانظمة. وبالتالي فمن الصعب ان يقتصر برنامج الحد الادنى على موضوع التحرير، المطلوب تحديد موقف من الانظمة الرجعيةفي البلاد العربيةالتي يتواجد فيها قسم هام من الشعب الفلسطيني بالاضافة الى موقف من الانظمة العربية الاخرى وموقف من طبيعة علاقة الثورة الفلسطينية بالثورة العربية وبالثورة العالمية .

لقد انعكست البنية الطبقية والايديولوجية لحركة المقاومة على علاقتها بالجماهير الفلسطينية والعربية . ان الثورة هي الجماهير والجماهير هي الثورة وهي قوة الثورة الاساسية . ان معنويات الجماهير هي سلاح اساسي من أسلحة الثورة، وان التعبئة الجماهيرية هي القوة الاساسية التي من خلالها يستطيع التنظيم الثوري ان يحقق اهدافه وليس من خلال المناورات السياسية ومن خلال علاقته بهذا النظام او ذاك . ان القوة الاساسية التي تستطيع ان تحمي الثورة هي الجماهير . وحتى تكون الجماهير قوة اساسية، على الثورة ان تطرح عليها قضاياها باستمرار باعتبار ان الثورة هي ثورة الجماهير وليست ملكا لهذه القيادة او تلك ، لهذا التنظيم او ذاك . لكن طبيعة حركة المقاومة جعلت علاقتها مع الجماهير الفلسطينية قائمة على التعبئة الاعلامية العاطفية الديماغوجية بينما المفروض ان تصارح الجماهير بالعقبات التي تعترض الثورة وتطالب بأن تخلق القوة التي يمكن للثورة بها ان تتخطى